احتفال بعالم

كلية عليكرة الاسلامية هي اعظم كلية في الهند للمسلمين يتبغ منها تلاميذ افاضل كل سنة ومن جملة رجالها الاستاذ الفاضل الدكتور السيد ضياء الدين احمد. ذهب بعد انجاز الدراسة الى انكلترا والمانيا وفرنسا وقضى سنين في كلية كمبردج الانكليزية وغوتنغن الالمانية والسوربون الفرنسوية ولما حفل وطابه بالعلم عاد الى بلاده لينفعها بفضل علمه واختباره فربهذا القطر لدراسة احواله والاطلاع على سياسة التعليم فيه وربط صلات التعارف بين المصريين والهنود ولما عزم على الرحيل قام بعض اصدقائه وفي طليعتهم سعادة الاستاذ الفاضل الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الاغر فاحتفلوا بوداعه في نزل كونتنتال بحضور نحو ثمانين رجلاً اكثرهم من رجال العلم والادب فالقى صاحب المؤيد خطبة عرفه بها الى الحضور ثم قام المحتفل به والقى خطبة بالانكليزية قال فيها :

في بلاد الهند اكثر من مئة مدرسة مثل كلية عليكرة لكن ما يجعل لكليتنا امتيازاً حقيقياً على غيرها انها الشرقية الوحيدة التي يوجد فيها نظام خاص باقامة الطلبة وسكناهم فيها على الطريقة الانكليزية فيتولون شؤونهم بانفسهم في السير والادارة . ومن حسن حظنا في عليكرة اننا لا نعرف ولا نتبع الطريقة الفرنسوية في ضبط الطلبة ونظامهم بواسطة ضباط فانها طريقة عقيمة ولها مضار كثيرة ظاهرة في مصر . ومن اسرار نجاحنا اننا نتمسك كثيراً بالتربية الدينية والتربية الوطنية اذ يجبر الطلبة على تأدية الواجبات الدينية كلها وينشطون على الاهتمام والاشتغال باحوال المسلمين في انحاء العالم كافة

والكلية الآن تتبع خطة التعليم في الحكومة وتعد الطلبة لامتحان المدارس الجامعة الكبرى على ان الغاية من مبدإ الامر ان تكون عليكرة مدرسة جامعة اسلامية مستقلة . وقد قال المرحوم السيد احمد خان (مؤسس الكلية) منذ زمن طويل في خطبة القاها « ان نجاتنا لا تكون الا في الوقت الذي يصبح فيه امر تعليمنا بيدنا ولا تستردنا مدارس الحكومة الجامعة فنأخذ اذ ذاك العلوم بيميننا والفلسفة بشمالنا ونحمل تاج « لا اله الا الله محمد رسول الله » فوق رؤوسنا »

ثم قال انه تم الاتفاق على تأسيس كلية عربية لا يقصد منها ان يتعلم الطلبة فيها اللغة العربية لتأدية امتحان مخصوص ولكن الغرض منها ان يتلقى الطلبة تاريخ الاسلام بتدقيق وامعان نبحث في اسباب رقيه وانحطاطه . واننا نؤمل ان تظهر هذه المدرسة الجواهر المختبئة في آداب اللغة العربية وتنشر الكتب النادرة بتفاسير وايضاحات . وفي عزمنا ان

تخصص بعض الطلبة بهذه الكلية العربية وتجعل لهم مرتبات لكي يستريح بالهم من جهة المعاش وليتفرغوا للدرس والبحث. ونحن الآن ايضاً ننشيء ازاء تلك الكلية العربية كلية اخرى للعلوم الطبيعية

ولطالما سألنا بعض الناس — لماذا يضيق بنا الفكر وحب الذات فننشيء مدرسة جامعة اسلامية ولا يسعنا سمو النفس ومكارم الاخلاق والتسامح في الدين على جعل جامعتنا عامة مشتركة — ونحن نقول: لا نقصد منع غير المسلمين من الوجود في جامعتنا الاسلامية. فان ابوابها مفتوحة كما هي الحال الآن في عليكرة لغير المسلمين وكل محب للعلم بلا تمييز بين الجنس والدين. وفيها الآن طلبة من اليهود والمسيحيين والوثنيين ولن نسعى مطلقاً في اخراجهم منها ولا نسميها «جامعة اسلامية» الا بالمعنى الذي تنسب اليه اكسفورد وكمبردج الى كنيسة انكلترا الرسمية.

وبعد ان قال ان تعليم الدين اجباري في عليكرة وقابل بينها وبين المدارس الثانوية في مصر وحث القوم على ارسال زمرة من الطلبة لتلقي العلوم فيها الى غير ذلك من الاغراض الشريفة قام حضرة الفاضل حافظ افندي عوض احد صاحبي المنبر الاغر وترجم خطبته الى العربية ثم نهض سعادة صاحب المؤيد والقى خطبة موجزة نافعة قال فيها: ويتبين ان مصر لو رزقت مدرسة جامعة ذات مبادىء قويمة مثل كلية عليكرة وتناسب في عظمتها حالة مصر الحاضرة لكانت مصدر حياة اقوى واعم نفعاً لا للمصريين فقط ولكن لمسلمي العالم كله الذين هم في حاجة كبرى للترقي الصحيح المبني على دعائم العلم والفلسفة. وانني اتمنى من صميم فؤادي ان يقصد هذه الكلية بعض الطلاب المصريين لانهم يستفيدون مع العلوم التي يكتسبونها مزيجاً من آداب التربية الاسلامية العالية ومن الاخلاق الانكليزية التي تطابقها في كل ما هو شريف وعال فالا يستفيدون مثله من كليات اوربا مهما ارتقت مبادئها

ثم ختم مقاله بالتعريف بالعالم الهندي وقال انه اعظم نابغ شرقي في العلوم الرياضية والفلكية التي تلقاها في كمبردج وكان من مزايا نبوغه انه سبق جميع مناظريه من ارجاء انكلترا كلها ممن تقدموا للامتحان لنيل جائزة اسحق نيوتن العالم الفلكي الشهير وهي مئتاجنيه الى ان قال: ولعلكم ترون مثلي ان السيد ضياء الدين احمد هو رجل عالم مخلص في مباحثه وآرائه قد وقف نفسه على العلم حتى كاد يفنى فيه وكل من يفنى في العلم يحيا به. وانه لا يوجد مظهر حياة في الدنيا اقوى من مظهر الحياة العلمية الذين يتجلون بها العالم

ثم ختمت الحفلة بتناول الحلواء والشاي وابدى الحضور شكرهم للمحتفلين والمحتفل به فلما رأينا كل هذا وابتهاج الحضور بتقدم العالم الهندي بعد مقامه الطويل في بلاد الغرب

ذكرت ما كان من انتشار العلم في بلاد الاندلس ولا سيما عند ما ورد في الخطبة قول احد حكام الهند ان كلية عليكرة ستكون «قرطبة الشرق الحديث» ذكرت هذا وانحطاط المسلمين الآن وانهم تحت ظل حكوماتهم في الغالب اذلة وان عقلاءهم اندر من الكبريت الاحمر يذهبون في طلب العلم لنقله من مصادره الى اهلهم ومواطنيهم كما فعل الاستاذ ضياء الدين وكما كان يفعل يهود اوربا فيأخذون العلم عن علماء المسلمين في الاندلس حتى اذا تشبعوا بآرائهم ومذاهبهم وفضوا زمناً في حلقاتهم واهتدوا بهديهم يغادرونهم لينشروا ما تلقوه في ايطاليا وفرنسا وغيرها من البلاد المجاورة فتأمل كيف دالت الدول وصار الغربيون يعطوننا ما كانوا يأخذونه عنا مع الزيادات التي زادوها عليه . وبالبيت شعري هل تكون عليكرة قرطبة الشرق حقيقة كما قالوا

وفاة عالم

فجع العلم هذا الشهر بفقد احد اساطينه الحجة الثبت الشيخ احمد ابو خطوة رجل العلم الراجح والفضل الجم . ولد طاب ثراه في بلدة كفر ربيع من اعمال المنوفية وكان والده من اوساط الناس وحفظة الكتاب العزيز فلما ترعرع تعلم ما امكنه تعلمه في بلده وحفظ القرآن ثم اتى الى القاهرة سنة ١٢٧٩ وعمره قرابة خمس عشرة سنة لتلقي العلم في ازهرها فاخذ الفقه الحنفي عن الشيخ عبد الرحمن البحراوي والشيخ عبد الله الدرستاوي وحضر لاول امره في مذهب المالكية على الشيخ الشنبوبي واخذ المعقولات عن الشيخ محمد البسيوني البيباني والشيخ احمد الرفاعي الفيومي والشيخ حسن الطويل ولازم الاخير ملازمة متصلة فقرأ عليه المنطق والتوحيد والهندسة والاخلاق والتصوف والحكمة العالية القديمة وغيرها من العلوم التي لم تعهد قراءتها في الازهر . واستمر على الاتصال بالشيخ الطويل وهو من اعظم فلاسفة المسلمين في هذا القرن بصر حتى مضى هذا لسبيله كما استمر ملازماً الشيخ الدرستاوي حتى اتم عليه دراسة المذهب باجمعه . هؤلاء هم مشايخ الفقيد الذين تخرج بهم ومنهم الشيخ الشربيني ايضاً

وفي سنة ٩٢ جاز الامتحان لنيل شهادة العالمية من الازهر فحاز الدرجة الاولى وعدّ من نوابغ الازهريين المتمكنين من الفروع والاصول الجامعين الى المنقول المعقول . ولقد اسعده الحظ بملازمة الشيخ الطويل فجاء منه رجل لم يجمد جمود الفقهاء ولم يطش طيش السفسطائيين من المتفلسفين . وكان متضلعاً من علمي الفقه والاصول يزجعها معاً في درسه . واكد لي علمه باحواله انه كان كنزاً مختبئاً في هذين العلمين لم يعهد له فيهما قرين في علماء

زمانه . درّس زمناً طويلاً في الازهر فانتفع الطلاب بعلمه وسعة مداركه وكثرة تحقيقه وكان مفتياً لديوان الاوقاف زمناً ثم عين قاضياً في المحكمة الشرعية في هذه العاصمة .

حدثني صديق له نشأ معه وراقب سيره وسيرته انه كان سريع الفهم سريع القراءة سريع الكتابة قوي العارضة متين الحجة بليغ القول حاد الذاكرة بيد انه لم يكتب الا نادراً لاشتغاله بمهام القضاء لما نضج علمه واشتد ساعده ولانه كان بعيداً عن الظهور ولعل ذلك كان منه لحكمة اقتضتها النقية التي يضطر اكثر الموظفين في الحكومات الشرقية الى اتخاذها شعارهم . ومن الاسف ان ٩٩ في المئة من النوابغ في الشرق ينصرفون جملة واحدة الى التوظف فلا يعود في وسعهم خدمة امتهم وبلادهم الخدمة المتوقعة منهم وهم في ابان قوتهم وشرخ شبابهم ودور كهولتهم . والموظفون في معظم الامم كالآلات بيد رؤسائهم لا يهمهم الا رضاهم و يعدّون ما وراء ذلك من الواجبات الاجتماعية .

كان يعد المرحوم من اخلص اصدقاء فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده ونصيره في آرائه الاصلاحية سراً لا جهراً . ولما لغط بعضهم في مسألة الفتوى التي افتى بها مفتي الديار المصرية المشار اليه جواباً على سؤال ورد اليه من الترنسفال في جواز لبس المسلم القبعات وضرب البقر بالبلط والذبح بدون تسمية وجواز صلاة الشافعية خلف الحنفية كان الفقيد في مقدمة من ابدوا الشيخ المفتي في فتواه والف رسالة (ارشاد الامة الاسلامية الى اقوال الائمة في الفتوى الترنسفالية) التي جمع بها من نصوص كتب المذاهب الاربعة ما دحض به آراء المخالفين المشاغبين فكانت من الادلة على بعد غوره في الاطلاع على المذاهب وقد عرض ما جمعه على غير واحد من علماء كل مذهب فاجازوها فعزيت الى جماعة مبهمين . وقيل انه كتب في بعض الصحف اليومية مقالات لم تعز اليه لغرض اقتضى ذلك

وعلى الجملة فقد كان الفقيد على شرط العلماء الاقدمين من الالمام باحوال زمانه فهو علم علم وحجة حكم وفهم ولو أتيح له ان يهتم بالعموميات لزاد الانتفاع به . ومن اخلاقه انه كان رزيناً وقوراً ليّن الجانب فكان اذا اجتمع باكبر اعدائه يحسن لقاءه والتأدب معه ولم يجد له المنتقدون ما يتطرقون منه الى انتقاده بما يشينه الا ما كان من قبوله شفاعات اصدقائه مدفوعاً الى قضاء حوائجهم بعامل المروءة العظيمة الناشئة عن شدة ثقته بهم واعتقاده الصدق في اقوالهم وما يقصدون اليه . فلا عجب بعد هذا اذا عدّ فقده خسارة كبرى على القضاء والعلم في هذه الديار . رحمه الله